

كنت متعبا مستوحشا اضيق بالظلمة الهابطة التي راحت تتجمع في نفسي ، حين عدت السياب بعد يومين من دخوله مستشفى الجامعة . لقيت عنده الطبيب ، وكان من طلابي السابقين ، سألته عن حال الشاعر ، فابتسم وابتسمت وقال : « ضعف بسيط في العصب » . فاجبته : « هذا مرض الشعراء ، كلهم يشكون ضعف العصب ، وارتجاج العصب » . وفي غفلة من المريض دعاني الطبيب بإيماء سريعة الى مكتبه . وهناك اخبرني ان بدر مصاب بشلل بطيء ، لا علاج له ، سوف يمتد من اسفل الى اعلى ، ولكنه لن يؤثر في قواه العقلية ، وسوف يظل عقله يعمل ورأسه يتحرك الى النهاية .

رجعت الى بدر ، فراح يحدثني عن مشاريع يحلم بتحقيقها بعد ان يتعافى . كنت اوافق على كل ما يقترح . قصرت الزيارة قدر الامكان ، وانصرفت افكر ببدر ، بالشاعر الميت ، وبالشعر والتمهرة ، والباطل والعدم . وادركت ان بدر عرف طبيعة مرضه ، وعرف مصيره ، حين راح يرسل من لندن وباريس تفجعات المحتضر يواجه هول الموت ، وتفجعات الميت يرثي نفسه من وراء القبر . تراه اراد ان يضمن صوتا يتعالى بالرائاء على قبره بين صرير الاقلام النهاشة التي نغصت عليه حياته ، وقد تنغص عليه صمت القبر وراحته .

عند سرير كسياب

بقلم الدكتور خليل حاوي

غير ان بدر كاد يالف صحبة الموت ويعبره من هولته ، فيعابثه احيانا ، ويهز في وجهه « شناسيل بنت الجليبي » . وطالما تذكرت ما تمنناه هنري ملر : « ان يصاب بمرض يقعه عن العمل دون التأمل فيتوفر له الفراغ المطلق اللازم لنتاج الفكر والفن » . وقد وفر المرض للسياب هذا الفراغ . وكانه حين احس باختصار العمر توهجت عبقريته واخصبت واعطت مواسمها دفعة واحدة ، وفي فصل واحد ، اعطت ما تقصر عنه الفصول في عمر طويل . والشاعر الحق لا يلتفت الى امتداد ايامه ولياليه ، وعافية اعصابه ، وقد وقف هذه جميعا على الشعر ، واصبح همه ان يحولها الى اثار شعرية . لقد ندر من بطن امه ، وبفعل موهبته ، لان يتعمد بالنار ، فيتوهج وينطفئ ، يكون مطوبا وملعونا .

غير ان كثيرين من الشعراء وعوا كمال الشعسر بخيالهم ، واتساع الفجوة بين مثال القصيدة في النفس ونسختها المشوهة على الورق ، فتعالت شكواهم : « العمر هارب والفن طويل » . كأن معجزة الكمال في الشعر تقتضي معجزة تحرر الشاعر من سياط الزمن فتزيد في عمره اعماراً .

الأداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت - تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - Liban

B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur

SOUHEIL IDRIS

سكرتيرة التحرير

عائدة مطربجي إدريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRIS

*

الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق - بناية مروة

الإشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الأرجنتين ١٥٠ ريبالا
الإشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الإشتراك مقدما

حوالة مصرفية أو بريدية

الإعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

الحدث وتنطوي مع المرحلة . وتمثل الاخيرة في الالتزام الشيوعي .

ولئن كان السياب من الرواد الذين حققوا منعطفًا كبيرًا في سير الشعر العربي ، فان ذلك لا يعود الى موقفه من ازمت العصر فحسب ، بل الى ثورة في الصياغة لم تكن ممكنة لو انه لم يشح منذ البدء عن الجمالية الشكلية التي دعا اليها سعيد عقل ، ولم يتحرر الى مدى بعيد من غنائية محمود طه ، ولم يحاول ان يبدع قاموسا شعريا مستمدا بجملته من مصدر بكر ، من طبيعة تجاربه، ويطوع الاوزان فيجعل وحدة الشعر الايقاع المرتبط بالحالة الداخلية التي تنساق في موجات ينتهي بعضها عند تقطع ويمتد بعضها الى مقاطع دون ان تبتريها وقفة مفصولة عند وحدة البيت والقافية .

اما المرحلة الثانية فنحن نعرف منها الظواهر دون

الاسباب الموجبة . لقد ظل محافظا على التزامه الحر النابع من داخل ، متمسكا باصالته العربية ، مشددا على صفاء اللغة من العجمة . لكن شيئا قد تهدم من التراث الذي بنته تجارب العمر في نفسه ، فارتجت خطوطه وتزلزل عالمه فاصبحت تجاربه آنية واصبح شاعر صنعة يحتفل بالرصف والصقل والترنج . وكأنه يحاول ان يخفي فقر المضمون في شعره بتألق الشكل وبريقه . وفي هذه المرحلة كان تأثره السليبي ، دون مقاومة او تمثيل ، بالاسطورة في الشعر الحديث . فكانت ترد في شعره على سبيل التشبيه والتلوين والسرود فتوقعه في آفة الافتعال والتقريب والوصفية . وهذا ما صرحت به في مقابلة اجراها معي منذ سنوات الاستاذ هنري جاماتي . ولئن كنت لم اجامل السياب في حياته فاني لن اكذب اليوم على قبره . فليس ما ا قوله رثاء تقليديا يمتدح الميت ويذكر فضائله وحدها .

وفي المرحلة الثالثة والاخيرة استرد السياب اصلته بالتعبير الصادق عن احتضاره ، وكأنه وعى ان من ازمت المصير ما يتخطى السياسة والاجتماع والحضارة ، فيخرج الانسان من دفة هذه الجدران الواقية ، ويدفعه وحيدا عاريا الى صحراء تتكاثف فيها الظلمات وتلتهم الصواعق (1)

خليل حاوي

(1) وتبقى صلة السياب بجماعة « شعر » ، ويقتضي الضمير مني بان اصرح : انه خالط الجماعة ولكنه لم يندمج بهم ، ولم يعرف عنه الاتصال بالسفارات وخدمة الاغراض المشبوهة . وقد انفصل عنهم ونار عليهم يوم تكشف له نياتهم ومخازيهم . فعل ذلك وهو مريض مقعد في فندق سانت بول ، راس بيروت ، ولا طمع له سوى اظهار الحقيقة .

وقد منع السياب طيب سجيته ان يسلك مع « الجماعة » جانب الحذر والاحتراس ، فاستغلوا عرويته ليجعلوا منها جوازات سفر الى الاسواق العربية . واليوم يحاول صبيهم الارعن الذي اعتاد نهش الكبار بعد موتهم ، ان يكشف عن عورات السياب وكان يقدح عليه المديح ويحرق له البخور في حياته .

(خ ح)

ويجدر ان اشير ، قبل التعرض لشعر السياب، اني فيما اقول ، اعبر عن انطباع ، وليس عن معاودة نظر ودراسة . واعتقد ان ذروات نتاجه في المرحلة الاولى من تطوره تنهض الى مرتبة الشعر العظيم وتمثل الكثير من صفاته . لقد وعى ازمت الانسان في عصره وبيئته وعي تجربة ورؤيا وثقافة معتدلة لم تصبه بعسر الهضم فتقتل فيه عامل الفطرة ، عامل الاتصال بالينابيع والحقائق الاولية . وهذا الاتصال يمد الشاعر بمعيار اصيل للفصل بين الحسي والمتحجر من عناصر الحضارة ، ويوليه ثقة المصلح في الثورة على تعقيداتها المفتعلة . وكان في الجمع بين الفطرة والثقافة يعبر عن تراث عريق ونزعة اصيلة في النفس العربية وجدت ، قديما ، في شعر المتنبي خير تعبير عن ذاتها فرفعته فوق الشعراء الذين افسدت الحضارة فطرتهم امثال ابي نواس وابن الرومي .

لقد تكشفنا للسياب ازمت الانسان في عصره وبيئته عن حقيقتها فكانت ازمت سياسة واجتماع وحضارة ، وليست ازمت دينية او فردية كما كانت ، على الغالب ، في العصور السالفة .

وكانت واقعيته نفاذا عبر الواقع اليومي والاحداث الطارئة الى حقائق النفس والوجود التي ترتفع بالطاريء والعاير الى مستوى البقاء الدائم . فلو نظرنا - مثلا - في « المومس العمياء » و « حفار القبور » لوجدنا ان شخصية كل منهما تشف عن نموذج كلي وتتحد به . وبهذا تكون واقعيته بلغت من العمق ما يحولها الى رمزية ، وافترقت عن الواقعية المسطحة التي تنسحب خلف

صدر عن دار الاتحاد

الفعالية الثورية في النكبة

للدكتور نديم البيطار

المحاولة الاولى من نوعها في دراسة نكبتنا في فلسطين على صعيد نظري ثوري يفسرها على ضوء التاريخ وبالاعتماد على احداث ما توصلت اليه العلوم الاجتماعية من نتائج نظرية وفلسفية .

الثمن ٣٠٠ ق . ل .

دار الاتحاد للطباعة والنشر

ص . ب ٢٢٥٩ هاتف ٢٩٣٩٤٥ - بيروت